بورتوس ماغنوس (Portus Magnus):
موقع أثري بالغرب الجزائري*

تحتل المدينة العتيقة بورتوس ماغنوس الجزء الشمالي الشرقي لبطيوة الحالية[1]، ويحدها البحر الأبيض المتوسط شمالا، وغربا نسيج عمراني عرف أثناء الاحتلال الفرنسي بمدينة سان لو(Saint Leu)، وغابة أولاد منصور بالشمال الغربي، وشرقا أراضي زراعية وأخرى بور، ونسيج عمراني آخر من الجنوب يعرف بالدوار، والذي استقرت فيه قبيلة بطوية عند قدومها من ريف المغرب الأقصى في القرن الرابع عشر الميلادي، والتي يختلف المؤرخون والجغرافيون العرب في نسبها إذ ينسبها ابن حوقل(ت368هـ/978م) إلى زناتة حيث يقول: "ومن قبائل البربر الخارجة عن صلب زناتة...بنو بطوى..."[2]، بينما ينسبها ابن خلدون(ت808هـ/1405م) إلى صنهاجة حين يقول: "ومن قبائل صنهاجة بطون أخرى بجبال تازى وما والاها مثل بطوية..."[3]، ولم يبق من هذا الموقع الأثري اليوم إلاّ مساحة صغيرة تنتشر فوق سطحها بقايا بعض المعالم الأثرية.

وردت الإشارة الأولى حول المعالم الأثرية لبورتوس ماغنوس في كتاب البكري (ت487م/1094م) الذي تضمن إشارة جد مختصرة حول آثار هذه المدينة إذ يقول: "مدينة أرزاووهي مدينة رومانية خالية فيها آثار عظيمة للأول باقية يُحارُ من دخل فيها لكثرة عجائبها" [4]، كما جاء ذكر بعض معالمها الأثرية ضمن رحلة شاو (Shaw) إثر زيارته للموقع الأثري، ومعاينته لبعض البقايا الأثرية كالتيجان وبقايا فسيفساء[5].

إكتشاف الموقع وتاريخ التنقيبات: رافقت الحملة العسكرية الإستعمارية الفرنسية لبلادنا رحلات استكشافية شملت مواقع أثرية عرفت مختلف العصور، كالعصور الحجرية وفجر التاريخ وبالأخص العصور القديمة، فأمكن الكشف بهذه المواقع عن معالم، ولقى أثرية متنوعة شارك فيها ضباط من جيش الإحتلال الفرنسي الذين كان لهم دور في التعريف بها ضمن تقارير تنقيبية ومخططات لمعالم أثرية، وفي هذا السياق أذكر المساهمة التي قام بها كل من العقيد

*- أ. محمد بن عبد المؤمن- قسم التاريخ- كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية- ج. وهران.

مونفور (J.H de Montfort) والنقيب فلوني(Flogny) بالموقع الأثري لبورتوس ماغنوس[6]، ودوغزيفري (B.De Xivry)[7] الذي قام بنقل مضمون النقوش اللاتنية التي كانت ظاهرة للعيان أثناء تلك الفترة.

كما كان لهؤلاء العسكريين دورا في التمهيد لعمل أثري علمي بدأ مع نهاية القرن 19م، واستمر لغاية الستينات، فأول عمل تنقيبي منظم بهذا الموقع بدأ مع جورج سيمون (G.Simon) سنة 1894م، غير أن ملاّك الأراضي المحيطة بهذا الموقع، والتي كان من المفروض أن تجرى فيها التنقيبات قد عرقلوا أعماله التنقيبية، ولم يبدأ عمله التنقيبي إلاّ مع سنة 1897م، وقام ديمات (L.Demaeght) بنشر أعماله[8]، وساهمت مالفا موريس فانسان (M.M.Vincent) هي الأخرى من سنة 1935م إلى 1960م بأعمال تنقيبية وذلك بصورة متقطعة لم تنشر سوى البعض منها كشفت من خلالها على مجموعة من المعالم الأثرية للمدينة[9].

ساهمت بعض الجمعيات واللجان في إثراء البحث الأثري، وحفظه، والتعريف به أسستها عناصر عسكرية، ومدنية غير متخصصة في البحث الأثري والتنقيب، كالجمعية الجغرافية والأثرية للإقليم الوهراني، التي تأسست سنة 1878م، والتي كان لها الفضل في نقل اللوحات الفسيفسائية الميثولوجية المكتشفة ببورتوس ماغنوس إلى متحف وهران سنة 1886م[10].

ومن بين الشخصيات التي اهتمت بقضايا الآثار بالجزائر نجد أدريان بربروجر (A.Berbrugger)، والنقيب كاريت (Carette) هذا الأخير الذي اهتم بعلم الآثار وعلاقته بعلم التاريخ وعلم الجغرافيا[11]، وبذلك استطاع بربروجر أن يصف بقايا أثرية تخص إحدى المنازل الرومانية ببورتوس ماغنوس[12].

كما كلف نيكول (Nicole) مفتش المباني بأرزيو، ومستغانم من طرف المهندس المعماري بالإقليم الغربي فيالا دوسوربيي (Viala De Sorbier) للبحث عن التحف الفنية القديمة بالهضبة الشرقية لبورتوس ماغنوس، والذي استطاع أن يكشف عن بقايا أحد المنازل.[13]

ارتبط البحث الأثري بهذه المدينة بعدة أسماء كشفت عن بعض معالمها الأثرية، وعملت على حفظها أمثال ديمات محافظ متحف وهران آنذاك الذي ساهم في نقل الفسيفساء إلى متحف وهران، وقزال (S.Gsell) الذي رسم بعض مخططات معالمها الأثرية كمخطط المترلين الأول، والثاني، ومخطط خزان ثنائي، هذا إلى جانب رصده بعض معالمها الأثرية ضمن الأطلس الأثري للجزائر[14].

تناولت التقارير التنقيبية بعض الجوانب المعمارية للمدينة التي تم الكشف عنها خلال النصف الأول من القرن العشرين وبداية النصف الثاني منه، أمثال لاسوس (J.Lassus)[15]، لوقلاي (M.Leglay) [16]، غير أن كل هذه التنقيبات لم تكشف عن كل المعالم الأثرية لبورتوس ماغنوس.

سمحت الحفريات التي أجريت بالموقع الأثري بالتعرف على بعض المعالم الأثرية كالمباني العمومية، ومنشآت الري والمنازل، في حين تبقى البعض منها مجهولة كالمسرح، المدرج، والسيرك إلى حين إعادة بعث التنقيبات مستقبلا. وعليه فإنّ هذه الدراسة تنصبّ على وصف المباني العمومية التي أشارت إليها تقارير الحفريات.

التاريخ العام لبورتوس ماغنوس: لا يزال يجهل الكثير عن التاريخ السياسي لهذه المدينة، وكل ما تسمح به المعلومات المتوفرة هوتسليط الضوء على بعض جوانبه، ورغم هذا الفراغ التاريخي، يتجلى للمتصفح للمصادر أنها كانت معروفة لدى بعض الكتاب والجغرافيين القدامى، إذ يشير بومبونيوس ميلا[71](Pomponius Mela) إلى اتساع مينائها.ويذكر بلين الكبير[81] (Pline L'Ancien) في الكتاب الخامس من مؤلفه "التاريخ الطبيعي" أنها مدينة رومانية محصنة، كما ورد ذكرها في جغرافية بطليموس[19] (Ptolemaei)، ودليل رحلة أنطونينوس[20](Itinerarium Antonini Augusti)، ولوحة بوتنغر (Tabula Peutingeriana)[21].

يذكر ديزانج (J. Desanges) في تعليقه على كتاب التاريخ الطبيعي لبلين القديم أنّ بورتوس ماغنوس كانت مدينة رومانية محصنة (Oppido)، ثم أصبحت بلدية (Munucipia) منذ عهد الإمبراطور كلاوديوس (Claudius) أوفيسباسيانوس (Vespasianus)، وأنّ سكانها كانوا يتمتعون بحق المواطنة الرومانية، وينتمون لقبيلة كرينا (Quirina)[22]، وتواجد بها على غرار البلديات الرومانية "مجلس البلدة" (Ordo).

عرفت المدينة ازدهارا في عهد الأنطونيين، ولا سيما خلال فترة حكم السيفيريين بدليل الإهداءات التي قدمت للأباطرة، والإهداءات التي قدمت للإمبراطور سبتيموس سيفيروس (Septimus Severus)، وولديه كراكلا (Caracalla) وجيتا (Geta) التي نقشت على المعالم الميلية[23].

وتجدر الإشارة هنا إلى دور مينائها في استقبال الجيوش الوافدة من أوربا للمشاركة في مواجهة الموريين سنة 145م[24]، كما كشفت تقارير التنقيبات عن مفرزات كتائب نزلت بهذا

الميناء قادمة من أوربا لمواجهة ثورة الموريين سنة 145م، كمفرزة كتيبة كلوديا الحادية عشر (Legio XI Claudia) [25].

تنتمي المفرزة الثانية التي أقامت بها إلى كتيبة فلافيا الرابعة (Legio IV Flavia) التي أسسها فيسباسيانوس سنة 71م، وأرسلها إلى بانونيا ودلماتيا[26]، وجدت الوحدات الإثنية ضمن الفرق المساعدة التي تواجدت بمدن موريطانيا القيصرية من بينها بورتوس ماغنوس، كفرقة حرّاس الولاّة (Praesidis Singulares)[27]، ومن بين هذه الفيالق تمّ الكشف على نصب جنائزية لفيالق خيالة(Alae) مرّت بهذه المدينة مثل: خيالة ميليارا (Alae Milaria)، وخيالة أوليبا الكونتوريّين الألفي الأول (Alae I Ulpia contrariorum Miliaria)، وخيالة فلافيا أوغسطوس البريطانيين الألفي الأول (ugusta britannica miliaria Alae I Flavia)، وخيالة أوغسطوس البارثيين الأول (Alae I Augusta Parthorum),

المجتمع ومعتقداته الدينية: كشفت التنقيبات التي أجريت بهذه المدينة عن مجموعة من النقوش المنسوبة إلى الفترة الرومانية، وتشير إلى أسماء محلية، وأخرى رومانية أحصى منها لاسير (J.M.Lassere) ثلاثة وعشرين إسما، أورد بعضها ضمن الأطروحة التي خصصها لسكان بلاد المغرب القديم منذ سقوط قرطاجة حتى حكم السيفيريين[28].

ولايمكن معالجة مجتمع بورتوس ماغنوس دون الإستعانة بهذه المعطيات، فهي رغم قلتها تسمح بالتعرف على الأقل على بعض سكانها، وأصولهم والمستوى الإجتماعي لبعضهم الذي لا يختلف عن النظام الإجتماعي الذي كان سائدا بالمدن الرومانية، خاصة وأن سكانها أصبحوا يتمتعون بحق المواطنة الرومانية منذ عهد الإمبراطور كلاوديوس أو فيسباسيانوس[29]، وبذلك أصبحت المدينة تجمع أهل البلاد المحليين والوافدين. وتسمح النقوش بالتعرف على أسماء سكان هذه المدينة، والتي أمكن لي ذكر بعض الأسر فيما يلي:

1) السكان المحليون: أسرة ساتورنينوس (Saturninus)، الكلوديين (Claudii) أسرة اليوليين (Iulii)، الفلافيين (Flavii)، الأولبيين (Ulpii)، الكيكيليين (Caecilii).

2) الوافدون: أسرة الآنيين (Annii)، الآكيليين (Aquilii)، الأنطونيين (Antonii)، الميتيليين (Metilii)، الكورنيليين (Cornelii)، الليكينيين (Licinii)، الفاليريين (Valerii).

3)المعتقدات:

أ- الآلهة المحلية: توصلت التنقيبات التي أجريت بالموقع الأثري لبورتوس ماغنوس إلى

اكتشاف اثني عشر نصبا للإله ساتورنوس(Saturnus) بنفس الموقع الذي عثر فيه على نصب الإله بعل أمون، وكتب بكلّ وضوح على إحداها اسم هذا الإله[30]، كما عثر في نفس المكان على نصب للإلهة كاليستيس(Caelestis).

ب- الآلهة الرومانية: صاحب الاحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم انتشار الآلهة الرومانية التي جلبها التجّار والإداريون والعسكريون، وساعدت المعطيات المادية على معرفة المعتقد الروماني بهذه المنطقة، غير أنّ ما يلفت الانتباه هنا هوالتفاوت في المادة التاريخية المستخلصة منها من منطقة لأخرى، ولا يوجد في الوقت الحاضر إلاّ بعض الإشارات مثل بضعة نقوش، ومذابح، ولوحات فسيفسائية، وقطعة نقدية ومصابيح، وإشارتان حول السلك الكهنوتي بالمدينة التي توحي بعبادة بعض الآلهة الرومانية بهذه المدينة

تضمنت لوحاتها الفيفسائية بعض المشاهد لآلهة رومانية كالإله باخوس (Bacchus)، ويظهر على إحدى اللوحات الإله أبولو"Apollo"، كما تضمنت إحدها مشهدا للإله نبتونس (Neptunus). زينت بعض المصابيح التي عثر عليها بنفس الموقع بآلهة رومانية[31]، كالإلهة مينارفا(Minerva)، ثم الإله مركوريوس (Mercurius) إله التجارة وحامي الطرقات، وفرتونة (Fortuna).

كما عبد سكانها بعض الآلهة: كالإلهة الكلتية إبونة(Epona)[32]. وأمكن التعرّف على آلهة أخرى زينت بها مشاهد اللوحات الفسيفسائية التي عثر عليها بأحد منازل المدينة، كالآلهة الإغريقية مثل الإله هرقل (Hercule) والإله بانوس (Panos)، والإله كإيروس(Eros)، والإله أيوس (Eos)، والإلهة سيليني (Selene).

ويبدوتأثر مجتمع بلاد المغرب القديم بالمسيحية جليا من خلال البقايا الأثرية، والنقوش الموجودة بالجزء الغربي من موريطانيا القيصرية، كالنقيشة المسيحية التي عثر عليها بموقع بورتوس ماغنوس لشخص يدعى يوليوس (Iulius)، أرجعها قزال إلى القرن الرابع الميلادي نظرا لبساطة كتابتها.

خامسا: المجال الإقتصادي:

1) الزراعة: تبقى الشواهد الأثرية الخاصة بزراعة القمح بموقع هذه المدينة غير كافية، إذ لم يعثر بومقعها الأثري سوى على مطاحن يدوية منها المحفوظة بالمتحف الوطني أحمد زبانة بوهران، وأخرى لا تزال موجودة بالموقع الأثري، زيادة لمهرازٍ كان يستعمل في دق الحبوب.

هذا وعثر على عدد من الجرار منها جرتين محفوظتين بالمتحف الوطني أحمد زبانة بـــوهران[33] وجرتين أقل حجما وأكثر تأثرا بالعوامل الطبيعية، لا تزالان موجـــودتين بـــالموقع الأثـــري، ويفترض أنها قد استعملت لتخزين ونقل القمح، غير أنها غير كافية، لكنه لا يستبعد أن تكون الأراضي الزراعية لهذه المدينة قد شقها محراث المزارع أثناء الإحتلال الروماني.

2) التجارة والمواصلات: تدل المعطيات التاريخية على وجود حركة تجارية عرفتها المدينة كاستقرار الأسر الإيطالية بها، وإنتشار عبادة الإله مركوريوس (Mercurius) إله التجارة[34]، ووجود منصب الإيديليس(Aedilis) التي ارتبطت بالأسواق ومراقبة الأسعار[35]، إلى جانـــب ذلك تم العثور على قطع من الخزف السيجيلي الغالي والإيطالي والإسباني، ومـــصابيح عليهـــا أختام ورشات إيطالية.

كما كان للطرقات دورا هاما في تسهيل النشاط التجاري، حيث انطلقت من المدينـــة العديد من الطرقات في إتجاهات مختلفة، وكانت تربطها بكويزا (Quiza) سيدي بلعطار، ثلاثة طرق ساحلية تدل عليها المعالم الميلية (الثاني والثالث والرابع)، فالأول غير مؤرخ، أما الثـــاني فقد وضع سنة 244م، ويرجع الثالث إلى سنـــة 216م، كمـــا وجـــدت طرق ذات اتجاهات مختلفة منها طريق نحو ريجياي (Regiae) أغبال، يدل عليه معلم للميل الثـــاني وضـــع ســـنة 249م[36].

ويشير قزال أن بورتـــوس ماغنـــوس قد ارتبطت بطريق يتجه نحوألبولاي (Albulae) عين تيموشنت، مرورا بآد دراكونيس (Ad Dracones) حمام بوحجر، وريجياي[37]، كمـــا تتصل ببورتوس ديفيني (Portus Divini) بواسطة طريق يتجنب مرتفعات جبال أوروس، ثم يمتد باتجاه كاسترا بويروروم (Castra Puerorum) الأندلسيات، ويستمر في اتجـــاه ســـيغا (Siga)[38]، ويربطها بتاساكورا (Tasaccura) سيق، طريق يدل عليه معلم للميـــل الثالـــث وضـــع بين سنتـــي 235م و238م[39] والذي يحتمل أنه قد سهل نقل الزيت مـــن تاســـاكورا وأكواي سيرنسيس(Aquae Serenses) حمام بوحنيفية، إلى ميناء بورتوس ماغنوس ليـــشحن بإتجاه أوستيا (Ostia) بإيطاليا[40]، وحسب مالفا موريس فانسان فإن ميناءها كـــان يتـــصل بوسط المدينة بواسطة طريقين: يعبر أحدهما المنحدر الجنوبي للمقبرة الشرقية، في حين لم تـــشر لإتجاه الطريق الثاني[41].

شهدت بورتوس ماغنوس اثناء الإحتلال الروماني حركة تجارية خارجية مثلما تشير إليه البقايا الأثرية إذ تم الكشف عن أمفورتين: واحدة استخرجها الصيادون من قاع البحر المحاذي لسواحل المدينة بتاريخ 21 ديسمبر1882م، وبيعت بالمزاد العلني يوم 19 أبريل 1883م بقيمة مائة وخمسة وعشرين فرنكا فرنسيا قديما للجمعية الجغرافية والأثرية لمدينة وهران التي أودعتها بمتحف المدينة، وهي اليوم معروضة بقاعته الرومانية، أما الأمفورة الثانية فقد اكتشفها جورج سيمون إثر التنقيبات التي أجراها بهذا الموقع الأثري سنة 1897م[42]، وكانت هذه الأمفورات تستعمل في نقل الزيت والخمر والغاروم.

إزدهر النشاط التجاري أثناء الفترة الرومانية، وكانت للمدينة علاقات تجارية عبر مينائها مع إيطاليا وغاليا وإسبانيا، مثلما دلّت عليه بقايا الخزف التي عثر عليها بالموقع الأثري والمحفوظة بالمتحف الوطني أحمد زبانة بوهران، إذ تعتبر الأختام التي طبعت في جهتها السفلى من أهم الدلائل التي تعرفنا بالورشات المنتجة لها، كالخزف السيجيلي الإيطالي الذي انتشرت صناعته.

عرفت المدينة الخزف السيجيلي الغالي الذي كان يستورد من غاليا الرومانية (Gallia)، واشتهر موطن غروفصانك (Graufesenque) بهذا الإنتاج.

كشفت تقنيات مالفا موريس فانسان بالمقبرة الشرقية للموقع الأثري ببورتوس ماغنوس بتاريخ 22 أكتوبر 1937م عن مزهرية إسبانية من نوع الخزف السيجيلي الإسباني، وهي محفوظة بالقاعة الرومانية للمتحف الوطني أحمد زبانة بوهران.

سادسا: المعالم الأثرية: سمحت الحفريات التي أجريت بالموقع الأثري بالتعرف على بعض المعالم الأثرية كالمباني العمومية، منشآت الري والمنازل، في حين تبقى البعض منها مجهولة كالمسرح، المدرج، والسيرك إلى حين إعادة بعث التنقيبات مستقبلا. وعليه فإنّ هذه الدراسة تنصبّ على وصف المباني العمومية التي أشارت إليها تقارير الحفريات.

1-الفوروم: فحسب المعلومات التي أوردها لاسوس عن فروم بورتوس ماغنوس إذ يبلغ طوله خمسون مترا وعرضه أربعون مترا، في حين يذكر لوقلاي أنه بلغ ثلاثمائة متر مربع، تراوح طول بلاط فروم بورتوس ماغنوس بين ثلاثة وستين سنتمتر ومتر وثمانية وخمسين سنتمترا، وعرضه بين أربعة وسبعين سنتمتر وأربعة وخمسين سنتمترا، دون إمكانية تحديد سمكه.

2-الكاردومكسيموس: يرجع الفضل في اكتشاف الكاردومكسيموس (Cardo Maximus) ببورتوس ماغنوس إلى مالفا موريس فانسان حيث تعرفت في سنة 1952م على مائة متر منه، كما حددت عرضه بأربعة أمتار.

3-البازيليك: ولقد كشفت الحفريات عن بقايا مبنى البازيليك (Basilica) بالجهة الغربية من الساحة العمومية ومقابلة للمعبد، طولها أحد عشر متراوعشرون سنتمترا، وعرضها أحد عشر مترا وتظهر بالجهة المقابلة للمدخل كوّة بالجدار الخلفي للمبنى[43].

4-المعبد: بني فوق كتلة صخرية تحيط بجهتيه الجنوبية، والشرقية ساحة، وأروقة مزينة بأعمدة، وبزاويته الشمالية خزّانا مقبّبا، وتجاوره ثلاثة غرف يعتقد أنها مقرّا إداريا للمدينة.

5-الكوريا: عثرت مالفا موريس فانسان أثناء تنقيباتها حول فروم هذه المدينة على بقايا مبنى اعتقدت أنه الكوريا (Curia)، طوله عشرون مترا وعرضه خمسة أمتار وثلاثون سنتمترا وارتفاعه مترا وتسعون سنتمترا، به منصّة ارتفاعها سبعون سنتمترا وطولها مترا وواحد وعشرون سنتمترا وعرضها ثمانون سنتمترا مزينة بفسيفساء ذات أشكال هندسية على شكل مستطيلات بيضاء وزرقاء، وغطيت بصفائح رخامية رمادية، غير أنّ لاسوس يعتقد أن هذه القياسات لا تسمح أن يكون هذا المبنى هو الكوريا [44].

6-الأسوار: أما بالنسبة لأسوار هذه المدينة فلا نحتكم سوى على نصّ جدّ مختصر لبلين الكبير يوحي بوجود أسوار جاء فيه أن بورتوس ماغنوس هي مدينة رومانية محصنة[45]، وإشارة لمالفا موريس فانسان تذكر أن شارع الكاردو مكسيموس[64] يتجه صوب أحد أبواب سور المدينة.

7- منشآت الري: كشفت التنقيبات ببورتوس ماغنوس عن بئرين، عثر على أحدهما بالقرب من المعبد[74]، وآخر لم يحدّد موقعه. كما وجدت مجموعة من الخزانات يجهل عددها ومواقعها باستثناء خزان وجد أسفل المعبد، وخزّانين مقبّبين أسفل فروم المدينة تمّ استعمالها في التقاط مياه الأمطار، لكن يجهل حجمها وطريقة استغلال مياهها، كما يشير لاسوس إلى خزّانات على جرف صخري بالقسم الشرقي للمدينة لكن دون الإفصاح عن عددها ولاتزال بعضها موجودة حتى الوقت الحاضر[48].

8- المباني الخاصة (المنازل): يذكر بربروجر أن منزلا قد اكتشف سنة 1848م[94] في حين يشير روشمونتكس (H.De.Rochemonteix) أنه اكتشف من طرف النقيب المهندس

المدني رنيسي (Rennuci) سنة 1851م أثناء بحثه عن الماء بالجهة المقابلة للطريق الرابط بين مدينتي وهران ومستغانم، كان قسمه السفلي قائما حتى سنة 1857م حسب رسالة العقيد مونفور (JH.De Montfort) بتاريخ 1857/11/10م نشرها بربروجر بالعدد الثاني من المجلة الإفريقية 1857-1858م ومما جاء فيها "لا يزال يوجد منزل كامل قسمه السفلي مزين بفسيفساء في حالة جيدة"[05]، لكن سطوحه وسقوفه وجدران ارتكازه قد اختفت، ولم تبقي سوى جدران أقسامه السفلية الفاصلة بين الممرات، ومختلف القاعات والشقق التي زينت بفسيفساء متنوعة وبراقة، حاول مونفور وصفها لكنه امتنع عن نشر هذا الوصف لعدم اختصاصه[15].

حرصت سلطات الإحتلال الفرنسي منها القيادة العسكرية والإدارة المدنية بالحفاظ على بقايا هذا المنزل وإحاطته بسور، كما جمعت بداخله التحف الأثرية مما جعله يتحول إلى متحف على الهواء الطلق وأصبح يسمى بالمنزل المتحف[52] إلى حين أن نقلت هذه البقايا الأثرية إلى متحف وهران سنة 1885[53].

ونعت غزال هذا المنزل باسم المنزل الصغير، ورسم مخططه جدران أساسه، ومن خلال مخططه يبدومستطيل الشكل، بلغ طوله 24,70م وعرضه 23,50م أي بمساحة قدرها 578,45م^2. في حين يذكر بأنها قد بلغت 600م^2 [55]، كما لم يشر لصاحب هذا المنزل ولا لتاريخ بنائه.

ويرجع تاريخ اكتشاف منزلا آخر إلى فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر، ويشير بربروغر في القسم الأول من تقريره الذي نشر نصه بالمجلة الإفريقية العدد السابع لسنة 1863م أن المهندس المعماري لمحافظة الغرب فيالا دي سوريبي قد كلف مفتش المباني الأثرية بأرزيوومستغانم بمهمة التنقيب بالهضبة الشرقية لموقع بورتوس ماغنوس فبدأت تبرز النتائج الأولية لعمله التنقيبي بعد إشارة من المعمر الفرنسي الذي كان يعمل مزارعا بمزرعة المقدم روبرت (Robert)، أفاد بها نيكول بأن أساس الحائط الجنوبي لهذه المزرعة قد بني على فسيفساء رومانية.

وعلى ضوء هذه المعلومات انطلقت التنقيبات بالمكان المحدد، وبعد عمق 1,5م من التنقيب تأكدت صحة المعلومات التي أدلى بها هذا المعمر، فرفع الرّدم عن الفسيفساء ثم تواصل العمل التنقيبي حتى تمكن نيكول من الكشف عن مخطط هذا المنزل الذي قام برسمه

فيـــالا دي سوربيي سنـــة 1862م، ثم نقلـــه بعده غزال [56].

يقع هذا المنزل مقابل الطريق الرابط بين وهران ومستغانم على بعـــد 150م جنـــوب شرق المنزل الأول وبنفس المسافة عن التجمع السكني الذي كان ينعته الفرنـــسيون بالقريـــة العربية (الدوّار)[57].

تشمل فسيفساء قاعة الضيوف على أربع لوحات ذات مشاهد ميثولوجية، اكتشفها السيد نيكول سنة 1862م، وظلت معروضة في الهواء الطلق طيلة أربعـــة وعشـــرون سنـــة، ولمـــا توقف عندها الإمبـــراطور الفرنســـي نابليـــون الثالث (Napoleon III) أثناء رحلته سنة 1865م، اقتُرِحَ نقلها في البداية إلى متحف الجزائر أومتحف اللّوفر بباريس في وقت لم يكن بوهران متحفا خاصا بها، غير أنّ الجمعية الجغرافية والأثرية للإقليم الوهراني برآســـة ديمـــات تحملت تكاليف نقلها إلى وهران وإيجاد مكان خاص لحفظها، ولّما تحصّلت هذه الجمعيـــة في 8 مارس 1884م على مقرّ بالمستشفى المدني بالمدينة، نقلت هذه اللوحات إلى وهران سنة 1886م بعد تقسيمها إلى أربعة أقسام حسب المشاهد التي تضمّنتها، ولم تكن عملية نقلها بالأمر الهـــيّن إذ كلّفت خزينة الجمعية حوالي ثلاثة آلاف فرنك فرنسي قديم[58].

يبلغ الطول الإجمالي هذه اللوحات عند اكتشافها 10,94م وعرضها 4م، وإذا ما تمعّنا في الرسم الذي أنجزه فيالا دي سوربيي يلاحظ أنّ الإطار المحيط بمشهد أســـطورة كـــابيروس (Cabirus) يُظهِر اللوحة على شكل الحرف اللاتيني "T" مقلوب من جهة المدخل[59].

تمثل اللوحة الأولى التي زّين بها مدخل القاعة مشهـــدا من أسطـــورة كابيـــــروس، تمثـــل لوحات القســـم الداخلي لهذه القاعة مجموعة مشاهد كانتصار الإلـــه أبولـــو علـــى مارسياس (Marsyas) وحجزه لتعذيبه، ويلي ذلك مشهد الإله نبتونس يحمي الآلهـــة لاتونـــة (Latona) والدة أبولو من الأفعى بيثون (Python).

تمثل اللوحة الرابعة مشهدا للإله هرقل (Hercules) وهويلقي القبض على السنتور شيرون، هذا وقد وجدت بإحدى غرف هذا المنزل فسيفساء تمثـــل مـــشهد انتـــصار الإلـــه باخوس(Bacchus) يشاهد فوق عربة يجرها نمر ونمرة.

ويذكر أن هذا المنزل كان مقر إقامة إما لبروقنصل أوعلى الأقل لشخصية ميـــسورة الحال [60] دون الإشارة إلى اسم صاحبه لكن محتوى النقيشة[61]، والتي عثر عليها بنفس المكان الذي وجـــدت فيه الفسيفســـاء[62] يشير إلى اسم سكـــستوس كورنيليـــوس هونوراتـــوس

(Sextus Cornelius Honorat) فهي النقيشة الوحيدة التي تحتوي على معلومات مفادها أن هذا الشخص عيّن واليا (Procurator) ببلاد الرافدين في عهد الإمبراطور سبتيموس سيفيروس مما يجعل افتراض أن هذا الشخص قد يكون صاحب هذا المنزل.

كشفت التنقيبات التي قامت بها مالفا موريس فانسان بالموقع الأثري لبورتوس ماغنوس عن منزل لكنها لم تنشر تقريرا خاصا به، بل أمكن التعرف على بعض أقسامه من خلال الإشارات لتي جاءت ضمن التقارير الخاصة بالبحث الأثري في الجزائر أوضمن بعض المقالات كتلك التي أفادنا بها لاسوس[63].

حالة الموقع منذ الماضي: أول ما قام به سكان المنطقة في القرن الرابع عشر الميلادي عند استقرارهم جنوب الموقع الأثري هواستغلال البقايا الأثرية لبناء مساكنهم[64]، كما كان للمعمرين الفرنسيين دور مماثل في القرن التاسع عشر عند بناء مدينة سان لو، ذلك أنهم استعملوا حجارة المباني القديمة لإنجاز منشآتهم المعمارية، ومساكنهم كمزرعة روبرت (ferme Robert) التي وجدت بها الفسيفساء المعروضة اليوم بالمتحف الوطني أحمد زبانة بوهران، كما أصبحت مشاعل المركب النفطي التابعة للمنطقة الصناعية بأرزيوقريبة من المدينة الأثرية، زيادة على مرور خطوط الكهرباء ذات الضغط العالي فوقها، ولحدّ الساعة لم تتوقف عملية التخريب التي يتعرض لها الموقع الأثري، بحيث سرعان ما يصطدم الزائر باكتساح العمران للمدينة الأثرية، واستغلال مساحات من هذا الموقع في النشاط الزراعي.

الهوامش:

1- تقع بطيوة شرق مقر الولاية وهران، وتبعد عنها بنحوأربع وأربعين كيلومترا، وعن مدينة أرزيوالواقعة في غربها بنحوتسع كيلومترات، وعن مدينة مستغانم التي تقع شرقها بأربعين كيلومترا.

2- ابن حوقل، كتاب صورة الأرض، . دار الكتاب الإسلامي، القاهرة بدون تاريخ، ص 102.

3- عبد الرحمن بن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر.دار الكتاب اللبناني، 1983، ج 11 ص 426.

4- البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، Librairie d'Amérique et d'orient، Paris 1965، ص 70.

[5]) Shaw, Voyage dans la régence d'Alger, traduit de l'Anglais, J.Mac, Carthy, Paris, Marlin, 1830, p223.

[6]) J.H.De Montfort, "Chronique ", R.A*fr*., 2, 1857-1857, p 409 ; id, "Ruines du vieil Arzew", R.A*fr*., 3, 1858, 1859, pp 249-253 ; V.Flogny, "Chronique", R. A*fr*., 2, 1857-1858, pp 479-480.

[7]) P.A.Fevrier, Approches du Maghreb Romain ,I Aix en Provence, Edisud, 1989-1990, p32.

[8]) L.Demaeght, Notice sur les travaux de fouilles de Portus Magnus par les soins de M.Georges Simon ,BSGAO,19,1899 , pp 485-496.

[9]) M.M.Vincent, (Portus Magnus (Saint Leu), Sépultures Punico-Romaines), R. Afr. 1935, pp 35-36, 39, 45.

[10]) F.Doumergue, Histoire du musée d'Oran de L'année 1882 à L'année 1898, BSGAO, 45, 1925, pp75-84.

[1]) P.A.Fevrier, (Approches...),I, op.cit, pp31-32

[2]) A.Berbrugger, Ruines du vieil Arzew," , R.A*fr*., 2, 1857-1858, p 184."

[3]) A.Berbrugger, Chronique, R.Afr, 7, 1863,p227

[4]) S.Gsell, Les monuments antiques de l'Algérie, I,Paris, Fontemoing, 1901, p 261, fig 76 ; II, pp.17-18, fig 86, p. 19-20, fig 87 ; id, A.A.A, F21n° 16.

[5]) J.Lassus, L'Archéologie Algérienne en 1955,pp161-189; Id ,L'archéologie Algérienne en 1958 ,pp223-346 ;Id, (Le site de Saint Leu), op.cit, pp285-293.

[16]) M.Leglay , L'Archéologie Algérienne en 1954,R.Afr.,99,1955, pp211-233

[17]) Pomponius Mela,Chrographie, ed , A,.Silberman , Paris , Les belles lettres ,1988 , I, 5, 29.

[18]) Pline L'Ancien Histoire naturelle.,(= HN) , livre V, ed , J.Desanges , Paris, , Les belles lettres 1980, 19.

[19]) Ptolemaei, Géographie, IV, 2, 2

[20]) Itin, Ant., p 3.

[21]) Tab Peut, p 2761

[22]) J. Desanges, op.cit., pp 153-154.

[23]) L.Demaeght, Catalogue raisonne des objets archéologiques du musée de la ville d'Oran, Paris,I 2' eme édition, revue par F. Doumergue, Oran 1921; pp 90-91, n° 138-139.

[24])N.Benseddik, les troupes auxiliaires de l'armée romaine en maurètanie césarienne sous le haut empire , Alger , SNED ,1979, p146

[25]) R.Cagnat, L'armée Romaine, et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs, Paris 1912,TI pp221-222,TII, p735.

[26]) A. Bouché – Leclercq, Manuel des institutions Romaines, Paris, Hachette, 1886, p 307.

[27]) N.Benseddik, p 67.

[28]) J.M.Lassere, (Ubique Populus, peuplement et mouvement de population dans l'Afrique romaine de la chutte de Carthage à la fin de la dynastie des Sévéres(146 av-Jc/235 ap-Jc)Doctorat d'etat ,Paris ,CNRS,1977, p243.

[29]) J.Desanges, Pline l'Ancien, Histoire naturelle, pp153-154.

[30]) L.Demaeght, (catalogue raisonné..), op.cit, p29 N°50 ; M.Leglay, (saturne africain, monuments, II),Paris,CNRS,1966, p 325, n°1

[31]) L. Demaeght, (Notice sur les travaux de fouilles executées dans les ruines de Portus Magnus), op.cit, p 487-488.

[32]) F.Denoit, les Mythes de l'outre tombe, le cavalier à l'anguipede et l'ecuyere EPONA, Bruxelles , Latomus, 1950, p 75.

[33]) L. Demaeght, Catalogue raisonné des objets archéologiques du musée de la ville d'Oran , Pars I, p121 n° 174--175 ,p 170 n° 496

[34]) L.Demaeght, Notice sur les travaux de fouilles exécutées dans les ruines de Portus Magnus... , p495,n°15 ; BC 222 رقم الجرد :بالمتحف الوطني أحمد زبانة بوهران

[35])G.Wilmans ,Th.Mommsen,Latinarum Supplementum, CIL VIII,Berlin 1881,CIL VIII 9754, 9773.

[36]) Ephemeris.epgraphica ,volumeV ,Berlin, 1885 ,n° 1157, 1158, 1159 ; CIL VIII 10457

[37]) S. Gsell , Atlas,Archéologique,de l'Algérie(=A.A.A)F20 ,n33

[38]) M.Chauvin , op.cit.,p121

[39])L. Renier,Inscription Romaine de l'Algerie, Paris,1884(= I.R.A 3837)

[40]) H.Camps Fabrer, L'Olivier et L'huile dans L'Afrique Romaine,Alger ,1953,p76.

[41]) M.M.Vincent, ((Saint –Leu) Sepultures Punico-Romaines), op.cit, pp38,41.

[42]) L.Demaeght ,(Musée Archéologique D'Oran, époque romaine), Bulletin des Antiquités Africaines, II,1885 p125; ID, (notice sur les travaux de fouilles exécutées par les soins de M.Georges Simon), op.cit p492 n°4

[43]) M.Leglay, "L'Archéologie Algérienne en 1954", R.A*fr*., 99, 1955, pp 212-213

[44]) J.Lassus, "L'Archéologie Algérienne en 1955", Libyca, ar.ep., 1er semestre, IV, 1956, pp 163-164

[45]) Pline L'Ancien, H.N, V, 2, 19, "Portus Magnus appelatus, civium Romanorum oppido".

[46]) M.M.Vincent, (Portus Magnus- Saint-Leu...), op.cit., pp 45-46.

[47]) J. Lassus, (L'Archéologie Algérienne en 1958), Libyca, ar.ep., VII, 1959, p 226.

[48]) J.Lassus, (Le site de Saint-Leu...),op.cit, pp 287, 290, 291

[49]) A.Berbrugger, Chronique, R.Afr, 7,1863, p228.

[50]) A.Berbrugger, Ruines du vieil Arzew, R.Afr,2, 1857-1858, p184.

[51]) J.H. De Montfort, Ruines du vieil Arzew, R.Afr, 3,1858-1859,p 252.
[52]) A.Berbrugger, op.Cit, R. Afr, 7, 1863, p233.
[53]) JH.De Montfort,op.cit.,p 68.
[54] رسم مخططا لهذا المنزل سنة 1860م، أنظر: (A.Berbrugger يذكر غزال أن بروبروجر
S. Gsell, (les monuments antiques…) op.cit, II, p18 note 2 et 4.
[55]) R.Afr, 13, 1869, p68.
[56]) A.Berbrugger, Chronique, R.afr, 7, 1863, p227.
[57]) H.De Rochemonteix, op.Cit, p66.
[58]) F. Doumergue, (Histoire du musée d'Oran de l'année 1882 à l'année 1898), BSGAO, 45, 1925, pp 75-84 ; L.Demaeght, (Catalogue raisonne des objets archeologiques…)op.cit., p 07.
[59]) P. Gauckler ,La Mosaique antique ,Paris,Hachette,sans date , pp 23-24
[60] H.De Rochemonteix « chronique », R.Afr, 13,1869, p69.
[61]) CIL. VIII., 9760.
[62]) L.Demaeght, (Catalogue des, objets…), op.cit, p38 n°67.
[63]) J.Lassus, (Le Site de Saint leu…), op.cit, pp285-293
[64]) H.De. Rochemonteix, « Chronique », op.cit., p 67.